## النفحة الخامسة والعشرون: رَمَضَانُ شهر الوحدة والاعتصام

من أجلّ المعاني السامية التي يرمز إليها شهر رَمَضَانَ المبارك، أنه شهر تجسدت فيه معاني الوحدة الإسلامية الشامخة، ذلك أن صيام رَمَضَانَ لم يُترك لأهواء الناس ورغباتهم، إنما حدد الشارع الحكيم وقتاً لمستهله وقتاً لنهايته، وبناء عليه فالمسلمون في شتى أصقاع المعمورة يصومون معاً ويفطرون معاً ـ مع فارق الوقت بين الدول ـ وهذا مظهر عام لوحدتهم وتآلفهم.

وعندما يشعر الصائم بالجوع والعطش، تتنامى مشاعر الإخاء في داخله، فيتذكر أن له إخواناً وأخواتٍ في العالم الإسلامي يعيشون في ضيق وجوع وفقر وحرمان، فيدفعه هذا الإحساس النبيل إلى مد يد العون لهم ومساعدتهم، سواء كانوا في دويلات المشرق أم المغرب، وبالتالي يتعزز في داخله مفهوم الوحدة الإسلامية الراسخة التي لا يمكن أن تجهضها حدود، ولا تفطمها إقليميات.

وحين يشاهد أشلاء المسلمين تقطع، ومدنهم تحاصر، وقراهم تحرق، ويرى معاناتهم، وما يلاقونهم من عذاب وتنكيل من الصهاينة الظالمين، والمستعمرين الوحشيين، عندها يذرف الدموع الحارقة أسفاً على تشتت الأمة وتمزقها، ويتمنى أن لو كانت متحدة متماسكة لدافعت عن الأرض، وذادت عن الحرمات والمقدسات، وهكذا مع مرور الأيام وكثرة المشاهدة المروعة التي يراها، يزيد الإحساس السامي بأهمية الوحدة وضرورتها، ليتخلص العالم الإسلامي من نكباته ومصائبه.

### أخي الصائـــم:

إذا كان رَمَضَانُ بمظهره العام، ووحيه وروحه، ورباطه الواسع الممتد، يدعونا للوحدة والاعتصام، فإن هذا المطلب فرض فرضه ربنا تبارك وتعالى علينا في قرآنه المجيد، وبيَّن مقوماته النبي الكريم (في كثير من الأحاديث الشريفة،

وحري بنا أن نلتمس معالم الوحدة والاعتصام في ديننا، لتكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

**أيها المسلمون:**

إن القرآن العظيم وحده الذي جمع شمل العرب، ولَمَّ شعثهم، ورأب صدعهم، بعدما كانوا عالة على الأمم والشعوب، وبعدما كانوا لقمة سائغة للدولة البيزنطية والدولة الفارسية، وحَّدَهم وجعل منهم صناع التاريخ، بعد أن كانوا نسياً منسياً، جعل منهم قادة الأمم والشعوب، بعد أن كانوا حفاة عراة يتحاربون من أجل حفنة تمر، ويسفكون دماء بعضهم بسبب سباق خيل كيوم بعاث...

والحق تبارك وتعالى في عدة مواضع من كتابه الكريم، يذكرهم بهذا العطاء الإلهي والنعمة الربانية، وأنه وحَّدهم بعد تمزق وشتات يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: 63].

الله جل في علاه ألف بين قلوبهم، ولكن أي قلوب؟ قلوب طليت بصدأ العداوة ودخان الشحناء، ونتن البغضاء، قلوب تأصَّلت فيها العداوات المسعورة، والسخائم الملتهبة، وإذا بها نار متأججة تلتهم خضار الإنسانية، ونضارة الصداقة، قلوب لا تفهم إلّا أسلوب الدم والسيف وبتر الأعناق...

إن الذي ألف بينها وأحالها إلى قلوب ندية خاشعة، متآلفة متحابة، هو الله تبارك وتعالى، ضرب جسور المحبة والإخاء بينها، فتحولت إلى بنيان متآلف شامخ، لا تهزّه الأعاصير، ولا يتأثر بالزوبعات...

يعلق صاحب الظلال[1] رحمه الله على هذا المعنى فيقول: لقد وقعت المعجزة التي لا يقدر عليها إلّا الله، والتي لا تصنعها إلّا هذه العقيدة، فاستحالت هذه القلوب النافرة وهذه الطباع الشموس، إلى هذه الكتلة المتراصة المتآخية الذلول بعضها لبعض، المحب بعضها لبعض، المتآلف مع بعضها البعض، بهذا

(1) في ظلال القرآن، 3/ 1548

المستوى الذي لم يعرفه التاريخ، والذي تتمثل فيه حياة الجنة وسمتها البارزة، أو يمهد لحياة الجنة وسمتها البارزة.

إن هذه العقيدة عجيبة فعلاً، إنها حين تخالط القلوب، وتستميل إلى مزاج من الحب والألفة ومودات القلوب التي تُلَيِّن جاسيَها، وترقق حواشيها، وتندي جفافها، وتربط بينها برباط وثيق عميق رفيق، فإذا نظرة العين، ولمسة اليد، ونطق الجارحة، وخفقة القلب، ترانيم من التعارف والتعاطف، والولاء والتناصر، والسماحة والهوادة، لا يعرف سرها إلّا مَن ألف بين هذه القلوب، ولا يعرف مذاقها إلّا هذه القلوب.

ثم إن الحق تبارك وتعالى، لم تقف تعاليمه عند جمع العرب ووحدتهم، إنما دعاهم إلى صون هذه الوحدة، وترسيخها في النفوس، وتجذيرها في قلوب الجيل الناشئ، حتى تستمر ويكتب لها البقاء، ولا بقاء لها إلّا بالاتفاف حول تعاليم الإسلام، والتمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم ﷺ والسير على نهج السلف، ونبذ الشقاق والنزاع، ونلمس هذا التوجيه الرباني في قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: 103].

ما أجمله من توجيه رباني وما أحكمه، إنه الاعتصام بحبل الله المتين، الذي لا ينقطع من تمسك به، ولا يزيغ من سار على نهجه، ولا يشقى من تلمس خطاه، ومن المستحيل أن تجتمع قلوب في سجل تاريخها ثارات قبلية، وأطماع شخصية، ورايات عنصرية، ولكنه حبل الله المتين، الذي أضحى لواءً متألقاً يرفرف فوق سماء جزيرة العرب، فانضووا كلهم تحته، والتزموا صفَّه.

يقول الإمام الطبري في تفسيره[1] لهذه الآية: وتأويل ذلك: واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم، التي أنعم بها عليكم، حين كنتم أعداء: أي بشرككم،

(1) جامع البيان، للطبري، 4/ 21.

يقتل بعضكم بعضاً عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بالإسلام بين قلوبكم، فجعل بعضكم لبعض إخواناً بعد إذ كنتم أعداء، تتواصلون بإلفة الإسلام، واجتماع كلمتكم عليه... فالنعمة التي أنعم الله على الأنصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي ألفة الإسلام، واجتماع كلمتهم عليها، والعداوة التي كانت بينهم، التي قال الله ﷻ: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً﴾ فإنها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الأوس والخزرج في الجاهلية قبل الإسلام، ويزعم العلماء بأيام العرب، أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة.

وعن عكرمة: أنه لقي النبيّ ﷺ ستة نفر من الأنصار، فآمنوا به وصدّقوه، فأراد أن يذهب معهم، فقالوا: يا رسول الله، إن بين قومنا حرباً، وإنا نخاف إن جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذي تريد، فوعدوه العام المقبل، وقالوا: يا رسول الله نذهب، فلعلّ الله أن يصلح تلك الحرب، قال: فذهبوا ففعلوا، فأصلح الله ﷻ تلك الحرب، وكانوا يرون أنها لا تصلح؛ وهو يوم بُعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلاً قد آمنوا، فأخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيباً، فذلك حين يقول: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عِمرَان: 103].

وفي السياق نفسه وبعد هذه الآية بقليل، يأتي التحذير القرآني من التفرقة والنزاع والاختلاف، لأن التفرقة تفضي إلى الضعف والهلاك، والتفرقة لا تأتي إلّا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، وليس الذي يثير الخلاف هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة نظر يصرّ عليها، مهما تبين له وجه الحق فيها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عِمرَان: 105].

لا تكونوا مثلهم، لأن البينات التي جاءتهم جعلوها تبعاً لهواهم ولذلك اختلفوا فحق عليهم العذاب العظيم، أما أنتم أيها المسلمون فإياكم أن تسلكوا مسلكهم فتجعلوا الدين تبعاً لهواكم وتشهياتكم، بل على العكس من هذا تماماً اجعلوا هواكم تبعاً للدين، حتى ينحسم الأمر، وتردم هوة الشقاق، ويطرد الخلاف من ساحتكم، وطامة الأمة اليوم أن كثيراً من أبنائها جعل الدين تبعاً للهوى، فراح

الواحد منهم يحلل ويحرم، ويوجب ويمنع من تلقاء نفسه، ولم يجعل لسلطان الشرع وحكم السماء وزناً على حياته، ولذلك نشبت في هذه الأمة الصراعات، وكثرت الاختلافات، ووصلت إلى حد لم يعد يُطاق، وما ذاك إلّا أنهم اتبعوا الهوى، وتنكبوا مسلك الحق المبين!!.

إن هذه الأمة أصبحت اليوم مهينة بين الأمم، لا مكانة لها ولا وزن، ولا كرامة لها ولا قدر، لأنها تنازعت واختلفت، والتنازع يؤدي إلى الفشل والانحطاط، فشل في الوحدة، وفشل في عالم التقنية والصناعة، وفشل في الإنتاج والإبداع، فشل في العلم وأبحاثه، فسل في الاقتصاد والمال، فشل في جوانب الحياة كلها، لماذا؟ هل مرد ذلك لقلة ثرواتنا؟ لا، أم لندرة مفكرينا ومبدعينا؟ لا، أم لتفشي الجهل وضعف العلم؟ لا إن مرد ذلك لداء عضال استشرى فينا، هو التنازع، والعصبية المقيتة، والاختلاف على أبسط الأشياء وأتفهها!.

وصدق الله تعالى عندما قا : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: 46].

**أخي المسلـــم:**

إن الاتحاد عماد كل فضل وسعادة، وسبب كل تقدم وتحضر، فما حظيت دولة من الدول، ولا شعب من الشعوب حظه من الرخاء ورغد العيش إلّا باتحاد القلوب، واجتماع الكلمة على الحق والبر، وما نالت أمة من الأمم مكانتها المرموقة إلّا بتضامن أبنائها، ووحدة مشاعرهم، وتآصر عراهم، وإن أمة سرت الشحناء في قلوب أبنائها، وسيطرت الأحقاد على نفوسهم، وبسط النزاع رداءه الآسن على حياتهم، هي أمة ميتة أضحت أثراً بعد عين، وغدت مهانة الجانب، مهدورة الكرامة، كالريشة في مهب الريح، لا قرار لها ولا ثبات.

**أيها الصائمـــون:**

من أجل أن تنهض الأمة نهضة الوحدة الراشدة الواعية، صاغ لها الإسلام مقومات، وجعل لها مرتكزات ينبغي أن تنهض عليها، وسبلاً يتوجب سلوكها، وقد

كتب فيها الكثيرون، وتحدث عنها المفكرون، لكنني سأقف معكم عند أهم وأبرز عنصر من عناصر الوحدة المنشودة وهو الوحدة على أساس الدين.

وأن تجتمع الأمة على وحدة العقيدة، التي هي الإيمان باللَّه تعالى، إيمان لا يخامره شك ولا يسري إليه ريب، وهذا ما قرره كتاب اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: 92].

والذي يستقرأ التاريخ الغابر أو الحاضر، فلسوف يجد مصداق هذه الحقيقة، فكم من أمة سادت بين الأمم، واتحد أبناؤها، وارتأب صدعهم، ولكن وحدتهم كانت على أساس لون، أو جنس، أو إقليم، فسرعان ما تسرب إليها الزغل، ودبَّ فيها الضعف، ونخرتها سوسة الوهن، فتقوضت أركانها، واستحالت إلى أنكاث متناثرة، وأصبحت كليلة بل ميتة مكفنة في ذمة التاريخ.

إن الوحدة التي يكتب لها البقاء والاستمرار، هي التي تنبع من مشكاة العبودية للَّه سبحانه وتعالى، لأن العبودية للَّه رباط وحبل متين يشد من أزر المسلمين جميعاً، وأي وحدة تقوم على أساس عرق أو قومية أو غيرها فهي إلى زوال...

واسمحوا لي أن أستطرد قليلاً هنا لتسجيل حقيقة لها بالغ الأهمية في هذا الصدد، وهي أن العقيدة الإسلامية تمكنت من جمع الشعوب المتباينة في لغاتها وطبائعها ومراكزها وألوانها وأجناسها على الحق والخير، واستطاعت أن تزيل العصبية الرائجة يومذاك، والإقليمية المتجذرة في النفوس، بحيث تتآخى قلوبهم على الحب في اللَّه ولدين اللَّه.

وفي ظل هذه الوحدة الإيمانية، ازدهرت الحضارة الإسلامية وقامت معاهدها ومؤسساتها العلمية والحضارية، والتي يسهم فيها العلماء من جميع الأجناس واللغات، بما لم يعرفه من قبل ولا عرفه من بعد تاريخ الحضارات.

التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لم تكن يوماً من الأيام «عربية» إنما كانت دائماً «إسلامية» ولم تكن يوماً ما «قومية» إنما كانت دوماً «عقدية».

لقد اجتمع المسلمون كلهم على أساس الدين، وبآصرة الحب، وبشعور

التطلع إلى هدف واحد، فبذلوا جميعاً أقصى كفاياتهم، وأبرزوا أعمق خصائص أجناسهم، وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعاً على أساس العدل والحق، والذي تبرز فيه إنسانيتهم دون عائق.

إن الإسلام لم يسحق قوميات معتنقيه، كلا، إنما أقرها بلين ورفق ولطف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحُجرَات: 13].

إن الإسلام لا يتنكر لقومية إنسان نشأ وترعرع عليها، إنها تحمل ثقافته وذكرياته وارتباطه ببني جنسه، فيها لغته، فيها أصله، فيها ملامح وجوده.

ومجلس النبي ﷺ كنت ترى فيه بلالاً الحبشي، وصهيباً الرومي، وسلمان الفارسي، وترى فيها الهاشمي والقرشي والتميمي... لكن هل بخس الإسلام حق بلال لأن لونه أسود، أم رفعه حتى ارتقى الكعبة المشرفة وجلجل صوته بنداء الحق، وسمع النبي ﷺ في الجنة قرع نعليه.

وبنظرة سريعة لكبار الذين أصَّلوا العلوم الشرعية، ووضعوا أسسها، وألَّفوا فيها، وأجمعت الأمة على ضبطهم وعدالتهم، نجد أن غالبيتهم ليسوا بعرب.

ففي علم الحديث:

شيخ المحدثين الإمام البخاري كان أعجمياً من بخارى في أوزباكستان، هل نتحرج نحن العرب، أو نشعر بأدنى شعور تجاهه على أنه أعجمي فلا نأخذ عنه، حاشا وكلا...

الإمام مسلم من قشير قبيلة عربية، ولكن منزله في نيسابور، وهي بلدة فارسية.

الإمام الترمذي أعجمي من ترمذ قرب مدينة بلخ.

الإمام النسائي أعجمي من نسا في خراسان.

الإمام أبو داود أعجمي من سجستان.

الإمام ابن ماجه أعجمي من بلاد قزوين.

وكثير من المحدثين أعاجم، وهم الذين دونوا لنا الحديث النبوي الشريف، ولم نستهجن ذلك، بل أخذناه وتلقته الأمة كلها بالقبول، وهم ليسوا بعرب إنما هم أعاجم.

**في التفسير:**

شيخ المفسرين الإمام الطبري أعجمي من طبرستان.

الإمام الزمخشري أعجمي من خوارزم.

الإمام الرازي أعجمي من الري شرق طهران.

وغيرهم من المفسرين كثير أعاجم، فسروا لنا كلام الحق تبارك وتعالى، وتلقيناه بكل قبول وحب دون غضاضة أو انزعاج.

**في اللغة العربية:**

الذي وضع قواعد النحو: سيبويه، حتى أصبح إماماً في النحو وإذا قال فقوله الفصل دون مناقشة، وهو أعجمي فارسي.

وهكذا فإن كل هؤلاء على امتداد رقعة الإسلام، لم يشعروا يوماً بتميز عنصري، أو حديث عن قومية، لأن الرابط العام الذي جمعهم هو العقيدة، وهي فوق كل الاعتبارات والنظريات والأجناس والعرقيات، إنها تقدم التقي النقي في كل الأمور، وإن كان عبداً حبشياً، وتقصي الفاجر الظالم ولا تقيم له وزناً، وإن كان سيداً قرشياً.

لقد مرت على الأمة الإسلامية قرون متطاولة، والمسلمون ينعمون بظل الإسلام الوارف، الذي جمع الأجناس كلها في رحابه، دون أن يقسم المجتمع إلى طبقة الأشراف وطبقة العبيد، كما حدث في الإمبراطورية الرومانية قديماً، وكما حدث في المجتمعات الحديثة اليوم مثل بريطانيا وألمانية وفرنسا وغيرها، ولا زالت هذه الدول تصطلي بنار التميز العنصري والطبقي حتى الآن.

لكن مع كل أسف، فإن كيان الدولة الإسلامية تصدع، وانقسمت إلى دويلات

متفرقة يعادي بعضها بعضاً، وراج سوق الدعوة إلى القوميات العفنة في أوساط الدهماء من الناس، وبدعم من الاستعمار الغاشم، وراح كل شعب يلهث وراء قيام دولة على أساس عرقي أو لغوي أو تاريخي يحاول أن يرجع بالأمة إلى تاريخها قبل الإسلام.

وإلى أن تجعل العصبية[1] فيما بيننا للعرق لا للعقيدة، وللسان لا للإيمان، وللتاريخ الميت المهجور، لا للتاريخ الحي الذي عاشت فيه هذه الشعوب زهاء ثلاثة عشر قرناً، وتحولت فيه تحولاً كبيراً من أمة كانت تعيش على هامش الحياة، أو على سقط المتاع من العقائد والأخلاق، إلى أمة ذات رسالة إنسانية تسهم في الحضارة الإسلامية بكل طاقاتها وإمكانياتها.

ونجحت هذه الدعوات القومية التي تأثرت تمام التأثر بالدعوات القومية التي قامت في الغرب في القرنين الماضيين، فتنكرت للدين، وازدرت بصلة الإخاء التي يقيمها بين المؤمنين به بين مختلف الشعوب، ورأى الاستعمار في ذلك عوناً له على فصم الوحدة الإسلامية وتشتيت شعوبها، فغذى هذا المظهر العدائي للدين في القوميات الشرقية، وكان كثير من دعاة القوميات أعداء للإسلام ظاهراً وباطناً، فاندفعوا في هذا الطريق بكل قوة يحاولون قطع كل صلة بين شعوبهم وشعوب العالم الإسلامي...

**يا مسلمـــون:**

حيكت ولا تزال مؤامرات عالمية لتغييب أي اتجاه يدعو لإيقاظ مشاعر الوحدة في نفوس المسلمين، ورصد لذلك مبالغ لا تعد ولا تحصى، واشترك في هذه الجريمة الإعلام العالمي الذي لا يفتر أبداً في إثارة النزاعات والخلافات، والمسلمون لا همَّ لهم إلّا أن يتطاحنوا، ويزمجر بعضهم على بعض، ويفسق بعضهم على بعض، لأتفه الأسباب وأصغر القضايا، ويدخلون في دوامة من العنف والتراشق والنزاع، ما يدخل الأحقاد في النفوس، وينفر القلوب، ويزيد من التمزق

(1) مقدمات حضارة الإسلام، د. مصطفى السباعي ص61.

والشقاق، وكأن مشاكل الأمة كلها حلت، ولم يبق منها إلّا هذه القضايا، فينبغي أن نعالجها بكل طاقاتنا في الليل والنهار، والسر والعلن، ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العلي العظيم.

**يـا مسلمـــون:**

إن الوحدة تحتاج إلى أفق واسع، وحكمة بالغة، وصدر رحب، وهضم لواقع المسلمين، وما يدور في الساحة العالمية، وكيف يتعامل المسلم مع مجريات الأمور ومستجداتها، وكيف يستطيع أن يردم كل فجوة ينشأ عنها خلاف، ويسعى لتعزيز أي وسيلة يتم من خلالها الوحدة والاتفاق، فحري بنا أن نثمّن ما اتفقنا عليه، ويعزر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

إن الأمة الإسلامية يوم كانت في عزها ووحدتها وقوتها ونضارتها، كانت هذه الخلافات مردومة تحت التراب، لا ذكر لها ولا أثر، واليوم عندما تشتت وحدتها، وتمزق كيانها، وتفرق أبناؤها، أصبحنا نثير هذه القضايا الخلافية، ليزداد الخلاف اتساعاً، والنزاع اشتعالاً، والفرقة هوة!!.

إن النبي ﷺ حذرنا من التفرقة والنزاع، وأمرنا بالوحدة والاجتماع في كثير من الأحاديث، من ذلك قوله ﷺ: **«سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة محمد ﷺ وأمرهم جميع، فاقتلوه كائناً من كان، فإن يد اللّه مع الجماعة، وإن الشيطان مع مَن فارق الجماعة يركض»**[1].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال: رحم اللّه رجلاً سمع مقالتي فوعاها، إني رأيت رسول اللّه ﷺ وقف فينا ثم قال: **«احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ـ ثلاثاً ـ ثم يكثر الهرج ويظهر الكذب، ويشهد الرجل ولا يستشهد، ويحلف ولا يستحلف، من أحب منكم بحبوحة الجنة، فعليه بالجماعة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد»**[2].

(1) رواه ابن حبان في صحيحه، 10/ 438، رقم: (4577).
(2) رواه الحاكم في المستدرك، 1/ 199، 390.

**يـا مسلمـون:**

واللهِ ما كان الصهاينة ليعيثوا في مقدساتنا الفساد، ويضطهدوا أهلنا في فلسطين المنكوبة، ويعتدوا على أعراضنا هناك إلّا بسبب نزاعنا وتفرقنا.

واللهِ ما كان الشيوعيون ليهدموا منازل أهلنا في الشيشان، ويحرقوا أرضهم، وينتهكوا أعراضهم ويذبحوا رجالهم إلّا بتفرقنا.

واللهِ ما سقطت الأندلس، والبوسنه والهرسك، وكشمير، وبغداد، وغيرها من بلاد الإسلام إلّا باختلافنا وتفرقنا، أَوَ تظنون أن اللهَ لن يحاسبنا على ما كسبت أيدينا، ولن نُسأل عن هذا الاختلاف والنزاع.

اصحوا يا مسلمون من هذه الغفلة، اصحوا يا دعاة الإسلام من هذه الكبوة، اجمعوا ولا تفرّقوا، ألّفوا ولا تنفّروا، حبّبوا ولا تكّرهوا، يسّروا ولا تعسّروا، بشّروا ولا تنفّروا.

اللّهم اجمع شملنا، ووحّد صفّنا، ولمّ شعثنا، يا رب العالمين، وانصرنا على مَن عادانا، والحمد للّه رب العالمين.

❀ ❀ ❀